رأي القدس

المفاجأة الايرانية وعواقبها

■ فاجأ السيد احمدي نجاد رئيس ايران العالم بأسره باعلانه تحول ايران الى القوة النووية الثامنة في العالم بعد نجاحها في تخصيب اليورانيوم واستخراج الوقود النووي لاستخدامه في المجالات السلمية.

اعتراف الرئيس الايراني هذا يذكرنا بيوم وقف فيه الرئيس العراقي صدام حسين امام تلفزيونات العالم بأسره، قبل عقد ونصف العقد تماماً، ولوح باجهزة تفجير نووية، حرمه العالم الغربي من استيرادها، في بادرة تحد قادت الى كارثة تدمير العراق في اعنف هجمات من نوعها، حيث القت الطائرات الامريكية من القنابل فوق بغداد وباقي المدن العراقية الاخرى ما يوازي ثلاث قنابل نووية من النوع الذي القي على هيروشيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكسر شوكة الشعب الياباني، وتأديبه على قرار حكومته بالتحالف مع النازية ضد امريكا.

صحيح ان ايران، وحسب اقوال الخبراء، قد نجحت في تخصيب اليورانيوم بنسبة متدنية لا تزيد على ثلاثة بالمئة، وتحتاج الى رفع هذه النسبة الى ثمانين بالمئة حتى تنجح في استخدام الوقود النووي في رؤوس نووية فاعلة، ولكن هذا الانجاز في حد ذاته يثير رعب الدولة العبرية والعالم الغربي على وجه التحديد، وقد يستخدم كتبرير لضرب ايران باسلحة نووية.

الرئيس الايراني قد يكون اراد من اعلانه هذا تحقيق امرين اساسيين، الاول شن حرب نفسية ضد الولايات المتحدة التي تقرع طبول الحرب ضد بلاده، ورفع معنويات الشعب الايراني وحشده وتعبئته استعدادا لاي مواجهة قادمة مع الولايات المتحدة، والغرب بشكل عام.

فاللافت ان العالم الغربي يتوحد حاليا ضد ايران وبرنامجها النووي، فلا خلافات بين اوروبا «القديمة» والولايات المتحدة حول العداء لايران ومعارضة برنامجها النووي، وهذا الامر ربما يسهل العدوان العسكري المتوقع.

ولم يكن من قبيل الصدفة ان ينشر اللوبي المؤيد لاسرائيل في بريطانيا اعلانا على صفحة كاملة في صحيفة «الفايننشال تايمز» البريطانية الرصينة قبل عشرة ايام يبين بالخرائط كيف ان اسرائيل ليست الوحيدة المهددة من قبل البرنامج النووي والصواريخ الايرانية وانما اوروبا ايضا، ولندن بالذات، لان هذه الصواريخ يصل مداها الى قلب العاصمة البريطانية، ناهيك عن باريس وبرلين وبروكسل.

ايران لم ترتكب اي خطأ، ولم تخرق اي قانون دولي باقدامها على تخصيب اليورانيوم واستخراج الوقود النووي. فمعاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية، التي وقعتها ايران ولم توقعها اسرائيل، لا ترى في الخطوة الايرانية هذه اي انتهاك لبنودها. ولكن هذا لا يعني ان الولايات المتحدة واسرائيل ستريانها كذلك.

المنطقة مقدمة على حرب، والادارة الامريكية الحالية قد تلجأ للهروب من فشلها في العراق بالهجوم على ايران. فايامها في السلطة باتت معدودة، وعلمتنا التجارب ان النمر الجريح يكون اكثر خطورة في لحظاته الاخيرة على قيد الحياة.

المراهنة على المحتل في العراق خاسرة لا محالة

د. بشير موسى نافع *

■ بين يوم وآخر، ترتفع وتيرة الأصوات الشيعية المندّدة بالسياسة الأمريكية والسفير الأمريكي في العراق، زلماي خليل زاد. بل أن زاد اتهم علناً بالطائفية، في إشارة إلى أصوله الأفغانية السنية. وقد تناسى من وجهوا اتهاماتهم للسفير الأمريكي ان زاد، الذي ارتبط دائماً بدوائر المحافظين الجدد في واشنطن، كان الحليف الأوثق للقوى الشيعية قبل الغزو الأمريكي للعراق، وأنه لعب الدور الأهم في مؤتمر لندن الذي أسس للتحالف بين مجموعات المعارضة العراقية في المنفى (آنذاك) والإدارة الأمريكية. ولكن هذا الانقلاب، الجزئي على الأقل، في المناخ السياسي السائد في المنطقة الخضراء يستحق بالفعل الانتباه، فبعد ثلاث سنوات فقط من الاحتلال، يبدو ان كثيراً من التحالفات التي أريد لعراق ما بعد الغزو ان يقوم عليها في طريقها للانهيار. وربما كانت الطريقة المهينة التي تعامل بها الأمريكيون مع أحمد الجلبي، أقدم وأقرب حلفائهم العراقيين، نموذجاً مصغراً لما يمكن أن تؤول إليه العلاقة مع حلفاء آخرين عندما تفترق المصالح والسياسات. على أن ما يشهده العراق على صعيد علاقات الاحتلال بحلفائه ليس أكثر من درس متكرر في تاريخ الأنظمة الاستعمارية.

الأمريكيون، وبدرجة ثانية شركاؤهم البريطانيون، هم السلطة الفعلية في النظام العراقي الجديد. لا ادعاءات الاستقلال الصوري، ولا كتابة الدستور وتمريره على هذا النحو أو ذاك، ولا عقد انتخابات برلمانية، أمور تغير من هذه الحقيقة. ومنذ شهور على الأقل، لم يخف الأمريكيون امتعاضهم من رئيس الوزراء المؤقت إبراهيم الجعفري وعدم رضائهم عن أدائه وأداء حكومته. الأسباب الرئيسية خلف هذا الموقف لا تتعلق بضعف الجعفري، كما أشيع وقتها، إذ أن كل الشخصيات السياسية العراقية الحالية ضعيفة إن قورن اداؤها بنفوذ المسؤولين الأمريكيين في بغداد. الأسباب الحقيقية هي شيء آخر مختلف. فقد عقد الجعفري وحزبه، حزب الدعوة، تحالفاً استراتيجياً مع جماعة الصدر، أسس له حاجة حزب الدعوة، الصغير والهامشي إلى حد كبير، لقوة شيعية ذات قواعد شعبية، كما أسست له بدرجة أقل أصول فكرية مشتركة بين الطرفين. في مقابل التوجه الطائفي الصارخ للمجلس الأعلى، حاول الجعفري وحزبه في البداية تقديم نفسيهما كقوة وطنية غير طائفية. ولكن هذه المحاولة لم تصمد طويلاً أمام أجواء الابتزاز الطائفي في أوساط الشيعة العراقيين وأمام القواعد الطائفية والإثنية التي أقيم عليها نظام الحكم الجديد. ولم يبق من طريق لتأمين موقع لقادة الدعوة، المصاب أكثرهم بعقدة الأهمية، إلا بالتحالف مع التيار الصدري.

بيد ان الأمريكيين في العراق وواشنطن يحملون شكوكاً بالغة تجاه الصدر، ليس فقط لخطابه المناهض للاحتلال وصدام جماعته المبكر مع القوات الأمريكية (فهذا كله يمكن التغاضي عنه عند تغيير المواقف) ولكن لعلاقته التي تزداد وثوقاً بطهران. الصدر، بالطبع، ليس الحليف العراقي الوحيد لإيران، فعلاقة جماعة الحكيم بالجمهورية الإسلامية تسبق علاقة الصدر بعقود. بل ان المجلس الأعلى هو في الحقيقة وليد قرار إيراني بحت، أريد به لعب دور ما في الصراع الدموي الطويل الذي صاحب الحرب العراقية ـ الإيرانية. ولكن التباين في علاقات قيادات المجلس بالأمريكيين، وحرص بعض هذه القيادات على الظهور بمظهر من يقدم علاقته بواشنطن على العلاقة مع طهران، وتقدير الأمريكيين بأن أولوية الحكم والسلطة لدى المجلس تجعله أسير التحالف معهم أكثر من ولائه للإيرانيين، يخفف من القلق الأمريكي تجاه المجلس. بينما يبدو الصدر، من ناحية أخرى، وكأنه ذهب بعيداً في ارتباطه مع الجمهورية الإسلامية، تمويلاً وتسليحاً وتدريباً وأمناً. ولأن الأجندة الأمريكية ـ الإسرائيلية وضعت إيران وبرنامجها النووي في مقدمة الأهداف التي ينبغي التعامل معها في المشرق، فإن الصدر يشكل مصدر القلق الأكبر للأمريكيين في المعسكر الشيعي العراقي. ولا شك ان هذا القلق يزداد حدة عندما يكون رئيس الوزراء العراق للسنوات الأربع القادمة الحليف الاستراتيجي للصدر. على من يرغب في حكم العراق في ظل الاحتلال ان يختار ولاءاته.

هناك بالطبع سبب آخر خلف الرفض الأمريكي ـ البريطاني للجعفري. فبعد محاولات قصيرة للتقدم بوجه وطني، أظهر الجعفري وحلفاؤه في التيار الصدري توجهات طائفية لا تقل حدة عن توجهات المجلس الأعلى. لا تقتصر هذه التوجهات على سياسة الحكومة المؤقتة وتطهير مؤسساتها ودوائرها من السنة العرب، أو على احتلال الميليشيات وزارة الداخلية وتحويل مواقع هذه الوزارة إلى مراكز تعذيب، بل وتتعلق أيضاً بفرق الموت التي تجوب أنحاء بغداد ومدن عراقية أخرى. الحرص على حياة العراقيين، والسنة العرب منهم على وجه الخصوص، ليس هماً أمريكياً ملحاً، ما يهم الأمريكيين في هذه المرحلة هو إنقاذ ما تبقى من مشروع الاحتلال على أمل الخروج بمكاسب أمريكية داخل العراق بعد ان انهارت تماماً استراتيجية الانطلاق من العراق لتغيير وجه المنطقة والعالم. وقد أدرك الأمريكيون أخيراً ان إنقاذ مشروع الاحتلال غير ممكن بدون شراكة سنية فعلية، ويأخذ هدف الأنقاذ في تجلياته الحالية صورة حكومة توافق وطني يأمل مخططو السياسة الأمريكية ان تساعد على إضعاف المقاومة وتقويض الكثير من مبرراتها. ولم يكن غريباً أن يصبح الجعفري، والتحالف الشيعي ككل، هدف السياسة الأمريكية الجديدة، ورفضها المتأخر للانقسام الطائفي.

لا الحكيم ولا العدد الأكبر من قادة التحالف الشيعي يرغبون في الجعفري. وقد كان تفوق الأخير بصوت واحد في التنافس على الترشيح لرئاسة الوزراء، وبعد صفقات ووعود قدمت لهذا الطرف وذاك، مؤشراً على هشاشة وضعه في صفوف التحالف الشيعي، ومفاجأة للحكيم وجماعة المجلس. ولكن الاعتراض الأمريكي على الجعفري لم يأت في صورة مباشرة، بل من خلال القوى السياسية الأخرى في البرلمان الجديد: القوى السنية العربية، الأكراد، وقائمة علاوي. وهو ما رؤي في أوساط التحالف الشيعي باعتباره صراع إرادات حول من هو صاحب القرار في النظام الجديد، ومن له اليد العليا. حاول الحكيم تدارك الموقف بطرح مشروع المباحثات الإيرانية ـ الأمريكية حول العراق، إذ لم يغب عنه ابتداء ان أحد أهم جوانب التوتر المتصاعد بين القائمة الشيعية والقوتين المحتلتين هو التوتر المتصاعد بين هاتين القوتين وإيران. ولكن ما أن أظهر الأمريكيون والبريطانيون تصميمهم على إزاحة الجعفري حتى بدأت المواقف في الافتراق داخل التحالف الشيعي، وسرعان ما أظهر المجلس وحلفاؤه في التحالف رغبة في إرضاء الأمريكيين ومحاولة التوصل إلى مرشح جديد. هذا الافتراق في الموقف من الجعفري بات مصدر تهديد لوجود التحالف واستمراره، لا سيما والجعفري، وخلفه التيار الصدري، ما يزال مصمماً على عدم الانسحاب. ولعل تفكك التحالف، وفرز القوى التي ربطت وضعها بطهران عن تلك التي تقدم علاقتها مع واشنطن على علاقتها بطهران، أصبح هدفاً رئيسياً للسياسة الأمريكية في العراق. ليس فقط لأن المحتل عادة، وتقليدياً، لا يرغب في التعامل مع قوى تستشعر قوتها الذاتية، ولكن أيضاً لأن الإدارة الأمريكية وحلفاءها الأوروبيين يتوقعون تصاعداً مطرداً في الصراع مع إيران.

الولايات المتحدة هي دولة كبرى بلا شك، بل هي الدولة الأكبر والأكثر قوة ونفوذاً في منتدى العالم الأول. وقد أظهرت الولايات المتحدة في العراق قدرة كبيرة على المناورة وتحمل الخسائر. ولكن هذا لا يمكن ان يخفي حقائق أزمة القوى المحتلة بعد مرور ثلاث سنوات فقط على الاحتلال. بإطاحتها النظام الحاكم وتقويض الأسس الوطنية التي بني عليها العراق الحديث، أخلت الولايات المتحدة بتوازن القوى في المنطقة وفتحت صندوق «بندورا» على مصراعيه للتطاحن الطائفي والإثني. وليس هناك من شك في ان الحسابات الأمريكية الأولية بنيت على ان احتلال العراق وبناء نظام ديمقراطي ـ ليبرالي فيه، موال لواشنطن، سيضع ضغوطاً هائلة على طهران ويدفعها إلى في موقع الدفاع، وربما يؤدي إلى إطاحة النظام الإسلامي الإيراني او يجبره على إجراء متغيرات جوهرية في سياسته الخارجية. نظام عراقي مزدهر، حليف للولايات المتحدة، يلعب فيه الشيعة العراقيون دوراً بارزاً ورئيسياً، كان من المتوقع ان يقوض شرعية النظام الإسلامي ويعزز من القوى المعارضة له. ولكن رياح العراق لم تجر كما اشتهت سفن واشنطن. وسرعان ما انفجر العراق بمقاومة صلبة، أطاحت بالآمال الكبرى للمشروع الأمريكي. وكما أخطأت الإدارة الأمريكية تقدير ما يمكن ان يقدم لها العراق على مستوى استراتيجيتها في المشرق والعالم ككل، وعلى مستوى تعزيز المصالح الإسرائيلية في المجال العربي ـ الإسلامي، أخطأت أيضاً في تقديرها مستقبل المقاومة. ما تصوره الأمريكيون ان مقاومة لا تتلقى دعماً خارجياً، لا سيما من جوار ساحة نشاطها، لا يمكن ان تصمد طويلاً. ولكن المقاومة العراقية، التي لا تربطها أية صلة ملموسة بدول الجوار العراقي، أو أية دولة أخرى، تبدو في عامها الرابع أشد فعالية وقدرة على الاستمرار مما كانت عليه في 2003.

العراق، كما يؤكد كثيرون، ليس فيتنام، وقد لا يؤدي النشاط العسكري المباشر لقوى المقاومة إلى إيقاع هزيمة عسكرية مباشرة بالاحتلال. ولكن حتى في فيتنام لم تكن الهزيمة الأمريكية هزيمة عسكرية بالمفهوم التقليدي، بل هزيمة سياسية وهزيمة إرادة الاستمرار في الحرب والاحتلال. وتبدو المقاومة العراقية وكأنها في طريقها لتحقيق نجاح شبيه، فبالرغم من الدفع الأمريكي المستمر للعملية السياسية، يبدو الوضع السياسي للنظام الجديد وكأنه في طريقه إلى الانهيار، لا تسنده إلا القوة العسكرية المحتلة. كما ان الدعم الشعبي الأمريكي للاحتلال يكاد ان يتلاشى، مهدداً على مدى المتوسط والبعيد إرادة الاحتلال. بهذا الفشل، انقلبت السياسة الأمريكية تجاه إيران وحلفائها في العراق. فبعد ان كان بعض هؤلاء الحلفاء وسيلة الإدارة الأمريكية المعول عليها لتقويض شرعية الحكم الإيراني، أصبح هذا البعض مصدر تهديد للوجود الأمريكي في العراق بعد ان بات على الولايات المتحدة مواجهة إيران في شكل مباشر. في لحظة واحدة تلاشت أطروحات وولفوفيتز الشهيرة بإقامة تحالف أمريكي شيعي ديمقراطي في المنطقة بأسرها، يواجه التطرف والراديكالية السنية ويساعد على العودة بإيران إلى المعسكر الغربي. القوى الشيعية العراقية التي وضعت بيضها كله، حتى منذ ما قبل الغزو، في السلة الأمريكية، ينظر إليها اليوم في واشنطن بمنظار الشك، وترتفع من صفوفها عبارات التنديد بالضغوط الأمريكية و«طائفية» المحافظ الجديد زلماي خليل زاده.

بيد ان وراء هذا كله درسا بالغا لم يكن قصار النظر في المعسكر الشيعي العراقي يرغبون حتى في رؤية أسطره الأولى. الصعود على أكتاف الغزاة، تسويغ الاحتلال والترحيب به، اعتبار الاحتلال مناسبة لانتصار طائفة على الأخرى، وفرض نظام طائفي تقسيمي على العراق في ظل القوة الأمريكية ـ البريطانية، ما كان له أن يوصل إلا إلى الوضع الحالي. الارتكاز على ميزان قوى صنعه الوجود الأجنبي يتطلب الخضوع لميزان القوى هذا. وقد كان وزير الخارجية البريطاني جاك سترو صريحاً بما يكفي عندما ذكر حلفاءه العراقيين ان قوى الاحتلال لم تدفع من أموالها وأرواح جنودها للتفرج على العملية السياسية. وهو درس أيضاً للقوى السنية الغارقة اليوم في لعبة المناورات الدائرة في المنطقة الخضراء. في ظل الأنظمة الاستعمارية، ليس هناك ما هو أسهل وأرخص تكلفة من الارتماء في أحضان المحتل والمزايدة على اولئك الذين سبقوا في الارتماء.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

تداعيات الإعلان الإيراني بتخصيب اليورانيوم

د. يوسف نور عوض *

■ الرقابة الدولية على الاسلحة النووية اكتسبت مشروعيتها من عدم الرغبة في حدوث فوضى عالمية بوقوع هذه الاسلحة في ايدي دول قد تسيء استخدامها، وهذا هدف مشروع إذا كانت وراءه حقيقة ماثلة، ولكن بعد الحرب الباردة رأينا الولايات المتحدة تتخذ موقفا من الدول التي تحاول امتلاك هذا السلاح ليس من منظور المصلحة العالمية بل من منظور مصلحة الولايات المتحدة وحلفائها، وقد تفاقم هذا الوضع بعد أن سيطر اليمين المتطرف على سياسة الولايات المتحدة في عهد إدارة الرئيس بوش وهو يمين لا يخدم مصالح الولايات المتحدة بقدر ما يخدم مصالح اسرائيل، وقد رأينا هذا اليمين يغض الطرف عن الترسانة النووية الاسرائيلية والجرائم التي ترتكبها تل أبيب ضد الشعب الفلسطيني ولكنه لا يتردد في تطبيق اقسى العقوبات على حكومة حماس والاستمرار في احتلال العراق بعد أن خربه وغض الطرف عن الانظمة الدكتاتورية التي تسيطر على العالم العربي وتبعد عنه رياح الحرية والتغيير.

ولكن هذا اليمين يقف امام امتحان صعب في تجربته الجديدة مع النظام الإيراني ذلك أن الولايات المتحدة ظلت منذ فترة طويلة تثير الشكوك حول البرنامج النووي لطهران وتزعم انه موجه للأهداف العسكرية وتحرك مجلس الامن والوكالة الدولية للطاقة الذرية من اجل إيجاد الذرائع حتى يجد المجتمع الدولي مبررا لمعاقبة إيران، وجاءت اللحظة الحاسمة بعد أن صعدت المواقف ضد إيران عندما اعلن الرئيس محمود أحمدي نجاد أنه مع اتجاه محو اسرائيل من الخريطة، وكان واضحا هنا ان إيران تحسب حسابا لخطواتها وتتكلم وهي تدرك ما تقول، وفي هذه المرحلة بدأت الولايات في تصعيد حملتها ضد إيران بسبب موقفها من اسرائيل بل ذهب الرئيس جورج بوش إلى القول بانه لن يسمح لإيران بإزالة اسرائيل وإن الولايات المتحدة ستدافع عن هذه الدولة التي تعتبرها أقوى حليف لها في المنطقة. وظل الأمر سجالا بينها وبين إيران حيث ظلت إيران تؤكد أنها تهدف إلى تخصيب اليورانيوم من أجل الأغراض السلمية وظلت الولايات المتحدة تشكك في هذا الهدف حتى جاءت اللحظة التي اعلنت فيها إيران عن عدد من الصواريخ القادرة على ضرب السفن وهي بكل تأكيد سفن امريكية أو حاملة للنفط في الخليج العربي، وقالت في نفس الوقت إنها ستدخل مضيق هرمز في استراتيجيتها إذا تعرضت إلى اعتداء من الولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه قالت مصادر صحافية إن الولايات المتحدة تعد لضربة نووية توجهها للمنشآت الإيرانية ولكن الإدارة الأمريكية انكرت ذلك، وفجأة تطورت الأمور على نحو غريب لم يتوقعه الكثيرون وكان فيه تفسير للحملة الخطابية الأخيرة بين الولايات المتحدة وإيران، ذلك أن إيران أعلنت فجأة وقبل زيارة محمد البرادعي اليها أنها أكملت دورة تخصيب اليورانيوم ويعني ذلك أن كل ما يدور في مجلس الامن والوكالة الدولية للطاقة الذرية لا معنى له، وعلى العالم أن ينصاع للأمر الواقع، وقالت الولايات المتحدة إن الإعلان الإيراني دليل على أن إيران تسير في الطريق الخطأ. وخضع الامر كله إلى تفسيرات مختلفة ذلك ان المراقبين لا يمكنهم أن يفهموا لماذا أعلنت إيران أنها دخلت إلى هذه المرحلة في وقت تعلم فيه أن الإعلان عن هذا الأمر قد يعرضها لضربة امريكية، والترجيح في نظرهم امران فإما ان إيران أرادت بهذا الإعلان ان تصل إلى تفاهم مع الامم المتحدة بعد الزعم أنها أكملت دورة التخصيب وإما أنها أكملت التخصيب حقا، وليس ذلك سببا كافيا للإعلان لو لم تكن قد انتجت القنبلة النووية بالفعل.

وبالطبع هذا الخبر ليس من الأخبار السارة للولايات المتحدة والعالم الغربي بصفة عامة وهو مرحلة جديدة من مراحل تداعيات سياسات الرئيس بوش وخاصة في العالمين العربي والإسلامي، ذلك ان الرئيس بوش ارتكب خطأ كبيراً عندما استسلم لاغراض اليمين المتطرف واخطأ مرة اخرى عندما جعل حربه على التطرف حربا على الإسلام وأخطأ مرة ثالثة عندما ذهب إلى الهند وقال إن الولايات المتحدة سوف تدعم البرنامج الهندي النووي لاسباب استراتيجية ورفض دعم البرنامج النووي الباكستاني على الرغم من أن باكستان ـ في هذه المرحلة ـ حليف قوي للولايات المتحدة ولكنها بكل تأكيد حليف غير موثوق به وإلا لماذا لم ترد الولايات المتحدة التعاون معها؟ هذا الموقف من باكستان يؤكد أن الولايات المتحدة تصنف الدول الاسلامية كلها في خانة الأعداء وبالتالي هي لا تريد أن تمكنهم من القوة، ولكن هل تظن الولايات المتحدة أن هذه الدول ستستسلم لهذا الواقع؟

ربما كان ذلك هو موقفها، ولكن موقف إيران الأخير يؤكد ان الدول الإسلامية في طريقها لامتلاك التقنية النووية وأنها ستتبادل الخبرات في ما بينها، فقد امتلكت باكستان التقنية النووية وهي ستتعاون في مرحلة من المراحل مع إيران وتركيا إذا رأت ان ذلك يخدم أهدافها الاستراتيجية وقد تتعاون مع مصر لان العالم العربي الإسلامي لن يقبل سياسة الرضوخ أبد الدهر وهو يرى الولايات المتحدة تحقق سياسات ظالمة في المنطقة وتنحاز إلى اسرائيل على حساب الأمة العربية كلها. ولكن ذلك بالطبع لن يتحقق إلا إذا تغير المناخ السياسي والثقافي في المنطقة العربية وتخلت كثير من الدول العربية عن سياسة الرضوخ وبيع الحقوق العربية للولايات المتحدة من غير مقابل لأنه من العار ان تكون هناك دول عربية مهمة في الشرق الأوسط تعترف أو تتعامل مع اسرائيل في وقت لم تقم فيه الدولة الفلسطينية ولم يتحقق السلم على أرض فلسطين، فكيف يمكن للشعب الفلسطيني أن يقاوم إذا كان ظهره مكسورا واقوى الدول العربية التي يعتمد عليها تعترف باسرائيل وتنحاز لها او تعتبر نفسها وسيطا بين اسرائيل والفلسطينيين في وقت ليس فيه وساطة وليس فيه شراكة وليس فيه مفاوضات بل ولا تريد اسرائيل حتى أن تفتح ملف فلسطين.

ولا شك أن التحدي الإيراني للولايات المتحدة يفتح ملف امتلاك السلاح النووي واسعا في منطقة الشرق الاوسط، ذلك ان امتلاك هذا السلاح ليس حقا لبعض الدول وحراما على دول أخرى فمن الذي يطمئن لامتلاك اسرائيل هذا السلاح؟ وكيف ترتاح مصر لامنها بدون سلاح نووي وهي تعلم أن مصادر النيل الذي تعتمد عليه توجد على بعد الاف الاميال من حدودها والولايات المتحدة واسرائيل تتآمران عليها من خلال العمل على تقسيم السودان حتى تكون مصر في اضعف حالاتها؟ ولا يعني المنطق السليم أن تحولا سوف يحدث في العالم العربي من أجل اكتساب القوة، فقد رأينا بعض الدول العربية تسارع إلى القول بان على إيران أن تراعي السلام في منطقتها إذا هي امتلكت مثل هذه القدرة النووية. فهل يظن أحد أن إيران تسعى لامتلاك القدرة النووية من أجل ان تواجه بها دول المنطقة؟ هذا تفكير ساذج ولا يمكن ان يكون قد خطر على أذهان الإيرانيين، ولكن في نفس الوقت لا تسعى إيران لاكتساب القدرة النووية من أجل الدفاع عن دول المنطقة بل لأن إيران لن تسمح لنفسها ان تكون قوة غير نووية وهي ترى الهند وباكستان قد اصبحتا دولتين نوويتين وترى الولايات المتحدة تتخذ منها مثل هذا الموقف العدائي. ولا شك أن إيران قد استغلت الوقت المناسب من أجل تصعيد مواجهتها للولايات المتحدة وهو توقيت تعاني فيه الولايات المتحدة ما تعانيه في العراق وهي رهينة عند إيران بسبب اخطاء استراتيجية ارتكبتها في العراق تدل على ان الدول الكبرى ايضا تخطىء عندما لا تفكر بطريقة شمولية وصحيحة وعندما تنطلق من منطلقات مغرورة. ولا شك ان المواجهة بين إيران والولايات المتحدة ستتخذ أبعادا واسعة خاصة أن الولايات المتحدة تعلم أن هزيمتها أمام الإرادة الإيرانية ستجعل كثيرا من الدول الصغيرة تتجاسر عليها، وسوف يحدث ذلك آثارا كبيرة على القضية الفلسطينية لأن هزيمة الولايات المتحدة في هذه المنازلة سوف يجسر بعض الدول لاتخاذ مواقف أكثر تشددا من القضية الفلسطينية. ولا شك أن الثمن الذي ستدفعه الولايات المتحدة إذا ما قامت بهجوم على إيران سيكون كبيرا لعدم وجود ضمان بكسب هذه المعركة، وحتى لو كسبتها الولايات المتحدة فإن ذلك سوف يثير حفيظة كثير من دول العالم على الولايات المتحدة وتبدأ هذه الدول الاستعداد لمرحلة جديدة من العلاقات الدولية وهي مرحلة ستعود فيها إلى العالم من جديد نظرية سباق التسلح.

ولا شك أن الخروج من هذا المأزق لا يكون بتصعيد الخلافات مع إيران او مع غيرها من الدول سواء كان ذلك في منطقة الشرق الاوسط او أي منطقة أخرى من العالم بل بتحقيق العدالة للشعوب خاصة تلك التي ترزح تحت اسوأ الظروف وفي مقدمة هذه الشعوب الشعب الفلسطيني الذي تعتبر مشكلته حجر الاساس في حل معظم قضايا الشرق الاوسط.

* كاتب من السودان

من انقلب حلمه إلى كابوس؟

د. علي محمد فخرو

■ ها أن الأيام تثبت مرة بعد مرّة كم أن الحالمين من أمثالنا على حق. لقد حلمنا أولاً بوحدة هذه الأمة وبوحدة الوطن الكبير. فلما تكسّر ذلك الحلم على صخرة الحماقات والبلادات التي ارتكبها الكثيرون بحق هذه الأمة استبدلنا ذلك الحلم بحلم صغير متواضع لا يزيد عن بناء تضامن عربي متين صادق بين دول هذه الأمة يدفع الشرّ عنها من جهة وينقلها رويداً رويداً ودون هزّات نحو بعض الخطوات الوحدوية في مجالات الاقتصاد والثقافة وغيرها. لكن الضعّاف الذين أتعبتهم وعورة طريق النضال وأشواكه أو الذين أصاخوا السمّع لوساوس الشيطان الأمريكي ـ الصهيوني أو الذين نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم وأمتّهم وشرفهم لم يقبلوا لنا حتى بالتمسك بهذا الحلم الصغير. لقد استمرّوا في عبادة صنم القطرية ووجدوا في السيادة التامّة لكل دولة عربية وفي نهج «الأنا ومن بعدي الطوفان» الردّ الأبدي على كوارث الأمة في القرن العشرين.

لكن، دعنا نمعن النظر في نماذج من المشهد العربي الحالي مليّاً وبموضوعية تامة وبعيداً حتى عن الإيديولوجية.

فأولاً، لقد عاد الإستعمار إلى أرض العرب كلّها في أشكال من الإحتلال والتدخّل في الشؤون الداخلية من قبل السفارات الأجنبية وفرض المعاهدات الأمنية والاقتصادية إلخ.. من مظاهر الاستعمار المعروفة. لقد حاولت أكبر دولة عربية تحدّي هذه العودة ففشلت وحاولت أغنى دولة عربية فزُجرت، وحاول العراق فاحتلّت أرضه، وحاول السودان فقسّم إلى نتف، وها أن سورية تواجه ويلاته. إذن فشلت الدولة القطرية في منع عودة الإستعمار.

وثانياً، قرّر الشعب الفلسطيني استبدال قيادة غير ناجحة ومنخورة بالفساد بقيادة جديدة. لكن ما أن بدأت القيادة الجديدة عملها حتى حاصرتها الابتزازات وعلى الأخص المالية. أكبر تلك الابتزازات إيقاف دفع مئة وأربعين مليون يورو كانت أوروبا تدفعها سنوياً للسلطة الفلسطينية السابقة. وهو مبلغ يمكن تغطيته بثمن عشرة آلاف برميل من البترول يومياً في وطن ينتج حوالي عشرين مليون برميل يومياً. ومرة أخرى فشلت الدولة القطرية في حماية شعب عربي شقيق من الإبادة النازية الصهيونية في فلسطين ومن اللؤم الأمريكي ـ الأوروبي الذي يمارس ابتزازاً حقيراً ضدّ شعب منهك مقهور ومظلوم.

وثالثاً، لقد زاد عدد سكان دول مجلس التعاون الخليجي إبّان الثلاث سنوات الماضية بمقدار أربعة ملايين، جلّهم من غير العرب. وتخطّط مدن خليجيّة لزيادات هائلة في عدد سكانها في المستقبل القريب. وستكون أغلب تلك الأعداد السكانية من غير العرب. وسيعني ذلك الإمعان في خلخلة التركيبة السكانية لهذا الجزء من الوطن العربي وإضعاف عروبته وإسلامه. ومرّة أخرى فشلت الدولة القطرية في حماية أمنها وهويتها في المستقبل من خلال الاعتماد على العنصر الأجنبي ورفض التوجه نحو العمالة العربية بل وفي نفس المنطقة تتجمّع منذ عام 2003 فوائض نفطية هائلة تحتاج إلى مجالات استثمارية إنتاجية للاستفادة القصوى منها في حين تجوب أنحاء المعمورة وفود دول عربية غير نفطية أخرى تستجدي إجتذاب مبالغ زهيدة لمشروعات بلدانها الاقتصادية تلك أمثلة لنماذج الورطات التي تجابهها الدولة العربية القطرية أياً كان حجمها وأياً كان غناها وأياً كانت ادّعاءاتها الجنونية بالأهمية والمكانة الدولية. ترى لوكان التعامل مع الحياة العربية تعاملاً قومياً أكان الاستعمار يعود ويستقر، أكان الشعب العربي الفلسطيني مخيّراً بين الذل والهوان وبين الجوع والعطش، أكان خير بلدان الخليج وثروته النفطية عوناً للأغراب وللسكّه بدلاً من محتاجي وفقراء أمة العرب؟

ترى من منّا الذي انقلب حلمه إلى كابوس حقيقي يومي، الذين راهنوا على الدولة القطرية التي تقف اليوم عاجزة ضعيفة متراجعة وفاشلة قي كل ميدان تطرقه، أم الذين عرفوا منذ زمن طويل جداً أن خلاص الأمة هو في قيام نوع من وحدتها وفي أسوأ الأحوال نوع من تضامن أجزائها؟

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN